بسم الله الرحمن الرحيم (الكرم بين الدعوى عند العرب والحقيقة في الغرب)

إختار الله لي فاخترت لنفسي محاولة قول الحق ولو على نفسي أو أهلي أو قومي حتى لا منّي من أخي الشيخ عبد الله المختار مؤسس إدارة بناء المساجد على كثرة اعترافي العلني بنقائصي خشية أن أقع في الكفر بنعمة الله علي وهي عظيم. وفي المقابل - بل في الاتجاه نفسه - لم أتوقف عن مخالفة الكثرة من قومي ومن أهل ديني إذا تبيّنت مخالفتهم للحق مستهدياً بقول الله تعالى: ﴿وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله﴾ وقوله تعالى: ﴿وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون﴾ وقوله تعالى: ﴿وقليل من عبادي الشكور﴾ ومثل كثير:

أ- تبيّن لي أن الكثرة منا تتبع الفكر الموصوف زوراً بالإسلامي والظن والعاطفة؛ فاخترت اتباع الهدى من الكتاب والسنة بفهم أئمة القرون المفضلة المعتد بهم استجابة لهدى الله في كتابه: ﴿وما يتبع أكثرهم إلا ظناً إن الظن لا يغني من الحق شيئاً﴾، ﴿إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى﴾.

ب- وتبيّن لي أن الكثرة منا تنشغل بالمحرم عن الأهم في الدين: بحفظ القرآن عن تدبره، وبالنوافل عن الفرائض عموماً، وبالنهي عن الصغائر عن النهي عن الكبائر؛ فاخترت العكس استجابة لهدى الله في كتابه: ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾، ﴿ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت﴾ وفي سنة رسوله ﷺ «لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم أتيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة» من الحديث القدسي الصحيح، «حق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئاً» من صحيحي البخاري ومسلم؛ وانشغلت بالأهم الذي لا يكاد أكثر الدعاة يعرفونه أو يهتمون به) أكثر من المحرم أو غير المحرم الذي نفرط فيه.

ج- وتبيّن لي أن الكثرة منا - بنزغ من الشيطان - تفاءلت التشاؤم على التفاؤل وجوانب الشر على جوانب الخير في الحياة (حاضرها ومستقبلها) كما قال الله تعالى: ﴿الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلاً والله واسع عليم﴾، والنتيجة: شغل ألسنتهم بالشكوى عن الشكر، وأفئدتهم بالأسى والشقاء وسوء الظن عوضاً عن الفرح بنعم الله التي لا تحصى؛ فاخترت حسن الظن بالله وبقدره، وركزت نظري على جوانب الخير من الحياة فسعدت.

د- وتبيّن لي أن الكثرة منا تعلقت من الصحافة الجاهلة انتقاء ونشر أخبار الشر من أفسده مصادرها الظنية، والانشغال بدعوى إصلاح الغير عن إصلاح النفس، ولا أجد هذا بعيداً من أن يحوم عليه قول الله تعالى: ﴿إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة﴾ وهي لا تحب أن تشيع خبر الفاحشة وحدها في بلاد التوحيد والسنة بل تضخم إليها مختلف معاصي الشهوات والشهوات، وقول الله تعالى: ﴿أتأمرون الناس بالبر وتنسون

أنفسكم)؛ فاخترت تجنب تلقي فضلاً عن نشر أخبار وسائل الإعلام الغربية من الجريدة والإذاعة والإشاعة إذ تنافي كل أمر الله تعالى عباده المؤمنة بالتثبت قبل قبول الخبر أو نقله: (يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين)، (وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم). ولا أستثني من وسائل الإعلام إلا القليل الموصوف منها بالإسلامية.

هـ - وعنوان هذا المقال مثل آخر لانتقائنا وتلقينا ونشرنا خبر الشر وإعراضنا عن خبر الخير عملاً بالقيمة الجاهلية: حرة، وادعائنا ومنحنا لأنفسنا بما لا نفعل مخالفة لشرع الله: (ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا)، (كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون)، (لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب). والبيان تفصيل الإجمال بقدر الإمكان والمكان:

١) الكرم من أهم صفات الخير التي تدعى تميز العرب عن العجم، ولدينا شواهد نادرة على ما في هذا الادعاء من حق: حاتم الطائي من بلاد نجد (بصرف النظر عما ألحقه التاريخ والأدب العربي بسيرته من مبالغات).

ومن المعاصرين: الملك سعود بن عبد العزيز آل سعود أول ملوك آل سعود الذين أدركتهم بعد تجاوزي مرحلة الطفولة (رحمهم الله جميعاً) وأنت بأم عيني كرم بالنفس والوقت والمال، (أعرف لهلا ضعفت ذاكرتي عن تذكر أسماء أولاده فإذا قيل لي: (أبو خنيزير) تذكرت أحدهم: (سعود) ولقب خاص بالملك سعود، ومن كرمه الله على حاتم الطائي بافراد الله بعبادته، وعند مازار جامعة محلكره بالهند غطى دولار جميع التماثيل والنصب والأصنام في طريقه للجامعة.

ومن كرمه الله على حاتم الطائي بخدمة الإسلام - عالمياً - بتأسيس الجامعة الإسلامية بالمدينة في قصره الخاص به، وخدمة العالم الشرعي عالمياً - بجمع وطبع فتاوى الإمام ابن تيمية لأول مرة في التاريخ، وخدمة الإسلام بتأسيس كلية الشريعة (الأولى من جامعة الإمام محمد بن سعود فيما بعد).

ومن كرمه بالمال أنه يزور (ولا ينتظر الزيارة مثل حاتم) يزور مدينة مثل تيماء فلا يغادرها وفيها رجل أو امرأة أو طفل لم ينل جائزته، وأعلم من كرمه بنفسه ووقت راحته أنه أحد مواطني شقراء رحل إليه يطلب إعانة لعلاج شلل ابنه فلم يصل إلى قصره إلا بعد أن أوى إلى فراشه في الثلث الأول من الليل، ولم يكن للمواطنين مكان يأوي إليه في الرياض ولم يكن الناس عرفوا الفنادق، ولما أبلغ الملك سعود رحمه الله بقدومه خرج إليه بثياب النوم وأخرج له من جيبه خمسة آلاف ريال (تساوي اليوم خمسة آلاف).

ومن العلماء العاملين الدعاة إلى الله على بصيرة: الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله

كان ابن باز يسبق الناس بصبره وحلمه وكرمه (مع من يوافقه منهم ومع من يخالفه).
وكانت يده مثل يد الملك سعود (مخروقة كما يقول المثل المحلي) وكان
- مثله - يعطي عطاء من لا يخشى الفقر، وقد نوّه هو إلى إبراهيم في ذلك بلا حساب.
وقد كتبت عنه قبل عن تميّز آل الجميح وابنه سليمان وأبا حسين رحمهم الله
بتوفير وإيصال المياه إلى كل بيت في منزلهم وقراهم وغير ذلك من أنواع
الكرم والإحسان، وتميّز آل الجميح بكفالة (٣٠) داعٍ إلى الله على منهاج النبوة
حتى اليوم منذ عشرين سنة، ولا عبرة بالدعوة والدعاة على غير هذا المنهاج.
٢) ولكنه من تضرهم بالمادية والبعد عن العدل والكرم والإحسان من
نصارى أوروبا وأمريكا يقدّمون أمثلة نادرة للكرم والإحسان لا يقترب
عرب العصر ولا يصلونه إلا بل ولا يحتونه عن بعد ولا حتى قلوزه جريا على
عادتهم الانشغال بأخبار الشرعة عن حكامهم وغيرهم، واحتكار دعوى الكرم
لأنفسهم، مع أنهم بلغوا مبلغاً من الشح يليق به أن يضرب به المثل، وليكون
القارئ على بيّنة في متناول يده ونصره فليجرّب بإضافة سيارة
إلى جدار أخيه في الإسلام والعروبة (ولو لم يكن له ظل، ولو لم يتم من
الاستفادة منه بأي حال) فضلاً عن طلب عونه أو ماله أو طعامه.
٣) تبرّع أندرو كارنيجي من عام ١٩٠٢ إلى عام ١٩١٩ بما يعادل سبعة آلاف مليون دولار.
٤) تبرّع (جون روكفلر الأب) من عام ١٨٨٩ إلى عام ١٩٧٧ بما يعادل سبعة آلاف مليون دولار.
٥) تبرّع (جون روكفلر الابن) من عام ١٩٢٧ إلى ١٩٦٠ بما يعادل خمسة آلاف وخمسمائة مليون دولار.
٦) تبرّع (بل كيتس) في خمسة أعوام ماضية بعشرة آلاف مليون دولار، ويقوم مع
زوجته على مؤسسة للإحسان بثلاثين ألف مليون دولار، أعلنت التصاعد لتفرغ
لمحاولة القضاء على الملاريا والسل والأيدز في قارتي أفريقيا والهند، وتطوير
المكتبات والمدارس الثانوية في أمريكا، (ويشكر) مندوب المجلس الكنائس العالمي
كما يشكر محبي الحركة والحزبية الإسلاميون معتذراً للحصول على فوائد البنوك
العالمية وزيادة التبرعات لمؤسسات الإغاثة الإسلامية التي تصب في خزائنه
أحزابهم، هداهم الله وكفى الإسلام والمسلمين شرورهم وفتنهم).
٧) قبل أيام أعلنت (ورثة بفت) التبرع بخمسة وثمانين في المائة من ثروته (تقدّر ٨٥٪
اليوم بسبعة وثلاثين ألف مليون دولار أمريكي) ويترك لورثته ١٥٪ الباقية
توفر لهم مستوى من العيش لا يغريهم بترك العمل، والأثر تبرّعات ضخمة
مؤسسة (كيتس) للإحسان وتصرف في مصارف لمكافحة الأمراض وللتعليم.
و- وللكرم بالنفس والجهد والوقت (والمال) في الغرب أمثلة لا تحصى
أختار للقارئ منها نماذج مختلفة تيسّر لي الاطلاع عليها على قلة اطلاعي.
١) أصيبت فتاة أمريكية ليلة زواجها في حادث مروري بالشلل، فانطرحها

زوج المستقبل سبع سنوات حتى تمكنت من المشي متكئة على أبويها لإتمام إجراءات الزواج بعد أنه فقدت أهم مزاياها في الحركة والنطق والشكل.

٣) داوم متبرع مجهول على إعانة مطبخ للفقراء في سويسرا، ولما بلغت تبرعاته (٥) مليون دولار، حقق صحفي الأمر حتى عرف اسم المتبرع ونشره في صحيفته، فخيرته بين تكذيب الخبر أو المحاكمة، فاضطر إلى تكذيب نفسه احتراماً لرأي وخوفاً من.

٢) طالبت طفل (١١ سنة) مدرسة بالإذن له بتقديم فائض الطعام للمحتاجين فاعتذرت بتعقيد الأنظمة خشية التسمم، فرفع شكواه للإدارة التعليمية في المنطقة، وبعد عدة محاولات وافقت إدارة الصحة على تخفيف الإجراءات في مقابل إلحاقه بدورة شرطة التعليمات الصحية، وأجاب مصنع لتعليب الطعام طلبه فزوده بكمية كبيرة من علب الطعام. ولما بلغ (١٦ سنة) كان قد تم له توزيع (٣٧٥,٠٠٠) وجبة غذائية، فرشحته مدرسته للتكريم في البيت الأبيض وبعد أن وضعت زوجة الرئيس الأمريكي (كلينتون) الميدالية على قميصه سألته عن أهم ما يشغل باله: (ماذا تفعلون بفائض الطعام في البيت الأبيض؟).

٤) خرج مواطن أمريكي في يوم إجازة لصيد السمك فوجد من سبقه إلى فرضة الصيد، وبعد فترة قصيرة من التعارف تبين أنه أحدهما أخذ راتباً من (الضمان الاجتماعي) لحاجته يومياً إلى (غسيل) لعطل كليته عن أداء وظيفتها، وثلاثيا بعد يومين أو ثلاثة وقد وصل الآخر إلى قرار منح إحدى كليتيه لمواطنه لا يكاد يعرفه، لماذا؟ خشي الآخر في مستقبل حياته ما يقدم للفقير خيراً من ذلك.

٥) عرفت مقدمة برنامج تلفزيوني في (شيكاغو) عن عاملة متميزة بحسن الخلق بقصد الناس محل الوجبات السريعة الذي تعمل فيه من أجل حسن خلقها، وعرفت أنها - برغم الضئيل - تسكن في شقة صغيرة (٢ غرف وحمام ومطبخ) وقد اضطرت للكفالة ستة أطفال لبعض أقاربها (مع أطفالها الثلاثة) إنقاذاً لهم من الحياة في الملجأ، فأهدتها بيتاً كاملاً التأثيث يتسع لحاجتها وكرمها وخلقها. أيهما أكثر كرماً؟

ومقدمة البرنامج التلفزيوني هذه تقوم على مؤسسة لا أحسبه، وتقدم تبرعاتها في خمس سنوات مضت بمائتين وخمسة وسبعين مليون دولار أمريكي. ومن أمثلة تبرعاتها: تقديم الألعاب والأدوات المدرسية لجميع الأطفال في منطقة فقيرة في جنوب أفريقيا، وبناء بيوت لعدد منهم فقدوا بيوتهم في إعصار كترينا، ولكن أكثر حضور لحفلات برنامج نوعاً من كل ما تحبه لنفسها من الكسوة والطعام، وفي حلقة أخرى أهدت سيارة لكل من حضر الحلقة بما لا تقل قيمته عن سبعة ملايين دولار.

٦) (تاتا نرود) أول زنجي يشتهر في لعبة الكولف، ابتكر مدرسة للنشاط الإضافي توفر جميع أنواع الآلات والأدوات والتجارب والتدريب للأطفال (وخاصة المحتاجين)، كلفه إنشاؤها وتجهيزها خمسة ملايين دولار في ولاية كاليفورنيا يرغب في

إنشاء مشاريع في كل الولايات الأمريكية ثم في المناطق الأكثر حاجة في العالم، لماذا؟ لأنه حرم منها في صغره، ولحفظ طلابه من شرور الأسواء بعد الدراسة، ولتقديم لهم نوعاً من التسلية ومفيداً من الفكر والعمل يشغلهم عن مغريات الشر.

٧) أحد القائمين على مؤسسة ناجحة للتسويق والتسويق بالإنترنت أنهم أمر الفقراء المضطرين للعمل فيما سماه جمال عبد الناصر بالإقطاع الزراعي بما يشبه الرقيق المنتشر في الهند، فعمل حتى الآن على كفالة أكثر من سبعمائة ألف فرد بما يغنيهم عن الرقيق العملي.

٨) موسيقي لم يتوفر عنده من المال ما يتبرع به، فوظف موهبته الوحيدة في محاولة تخفيف أثر الأسى عن قلوب وجوه (٦٠) من الأطفال المرضى الذين لا يرجى برؤهم؛ يزور الطفل ويتعرف أحب أسمائه وألقابه إليه وأحب الألعاب والحيوانات وأنواع الطعام والشراب والمسلية والناس إليه، ويغيب عنه يومين أو ثلاثة فيؤلف أغنية باسمه تذكره بكل ما أحب في دنياه وتسجل ذكريات الطيبة في حياته القصيرة، ثم يلحنها ويضبطها ويفاجئه بها مسجلة، ثم يودعه متمنياً الشفاء بعد أن يغنيها أمام على آلة الموسيقى.

٩) شاب مات في سيارة بسبب شاب آخر لم يستجب لإشارة المرور بسبب السكر، وهو وحيد والديه اللذين لم ينجبا وليس ينجبا غيره، وكانت مصيبتهما كبيرة لا تحتمل الغضب ولا الحزن ولا محاولة الانتقام من القاتل، فاختارا التنازل عنه كل حقوقهما مقابل شرط واحد هو الامتناع عن السكر وبالتالي عن قيادة السيارة تحت تأثير المسكر، وأن يقبل مراقبتهما له للتأكد من ذلك. قالا: (لله حكمة فيما حدث لا نعلمها، وليس يعزينا عنه فقد ابتنا الوحيد إلا أنه نجعل موته سبباً في شفاء قاتله من إدمانه حتى لا يؤذي نفسه ولا غيره).

١٠) زوجان عجزا عن الإنجاب وخسرا مدخراتهما في العلاج ثم محاولة التبني، وبعد أن غلبهما اليأس إلا من الدعاء فوجئا بإحدى مؤسسات التبني تخبرهما بأنه متبرعة لا تريد أن تعرف اسم تكفل بمصاريف تبنيهما طفلاً من رومانيا تبلغ من العمر ١٠٠٠ دولار أمريكي، وحققت الله رغبتهما بعد أن وطنا نفسيهما المستقبل بلا ولد.

١١) موظف في شركة الطيران الأمريكي فقد أباها فجأة فصعق، ولما أفاق من أثر الصدمة الفاجعة تنبه لأنه مدى الحياة قد يكون قصيراً أكثر من المتوقع فطلبت النزول من وظيفة الإدارة إلى (وصيفة) على الطائرة حيث يتوفر له براحة أقل المسافرة والوقت وبالتالي معرفة سبل النفع العام، وبدأت بجمع قطع الصابون والشامبو المستعملة في الفنادق وأصبح للأجنحة الكوسنيبية وأدت بعضها يكون من الفرح برؤيته الرحلة الصغيرة، فأسست منظمة تطوعية بلغ عدد أفرادها (...٢) لنقل الأدوية والغذاء والكساء بل مرافقة (٢) طفلاً سرياً للعلاج في أمريكا أو للتبني، ولما طلبت من مدير

أحد فنادقه (لهلتون) أنه يسمح لي باستعمال حمّام للتبريد في فندقه وافق على طلبي وزاد بإعطائي مالم تطلب: بطاقة العامليه مجاناً في فندقه مجاناً، كما أعطتني شركة الطيران حقيبة مجانية للشحن الجوي، وكانه تعليق على هذا ومثله كثير: (العمل الخير يفتح لك من الأبواب الموصدة مالم تقرعه).

١٢) جاءت راهبة أوروبية شابة للاعتكاف في دير بإحدى المناطق الفقيرة النائية بالهند، وأثناء سفرها بالقطار شاهدت مالم تتخيله من المرض والجهل والفقر، فاقتنعت بأن ما سترضي الله بخدمة عباده (ولو على غير دينها) أكثر مما ترضيه باعتكافها وعزلتها عن العالم للعبادة؛ فقضت ٦٠ سنة (حتى ماتت) في علاج المريض وتعليم الجاهل وإطعام وكساء الفقير، وعرفت باسم (الأم تريزا).

١٣) وجاءت راهبة أوروبية شابة وأقامت مع الجالية على أكوام الزبالة في طرف صحراء مصر، وبدأت بتعليم الأطفال جميعاً (لأول مرة في حياتهم) القراءة والكتابة والحساب، والخياطة للبنات، والدين الذي تعتنقه النصارى منهم. وبعد عشرات السنين حصلت من إعانات المؤسسات الدولية على ما مكنها من بناء مدرسة مرتبة في العباسية وبقرية كنيسة، وبنت أول مسجد في منطقة الزبالة، وزرت المنطقة بعد ٣٠ سنة من معرفتي بها فوجدت منطقة سكنية بعدما نقل مكب الزبالة إلى منطقة أبعد في الصحراء.

١٤) صاحب مطعم أصيب بنوبة قلبية اضطرته للانقطاع عن العمل مما يهدد بالقضاء على مصدر رزقه، فتطوعت شابة تشترك في ملكية مطعم منافس للقيام بعمله حتى شفي، فجعلها شريكة في ملكية مطعمه إذ لا يقدر على مكافأتها بأكثر من ذلك، يقول: (قبل أيام توقفت لإعانة سائق نفد من سيارته الوقود، فقال لي: سيكافئك الله على ذلك، ولم أتوقع المكافأة بهذه السرعة)، ولم تتوقع الشابة أيضاً مكافأة منه في حال مرضه وعجزه وكبر سنه وحاجته.

ز- كيف يتميز الأوربيون والأمريكيون بالإحسان في بلاد المادية والرأسمالية والعلمانية؟

١) قال الله تعالى عن النصارى: ﴿وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة﴾.

٢) يقتدي (قرن بقيت) الذي تبرع بـ ٨٥٪ من ثروته و(بل كيتس) الذي تبرع بأكثر ثروته كذلك، بقتدياته بكاتبهم الذي سبقهما إلى الإحسان في أول القرن الماضي بتبرعه بما يعادل اليوم أكثر من ١٠٠ مليون دولار أمريكي إذ يقول: (الثروة التي ساعدنا الناس على جمعها يليق بنا أن نعيدها إليهم)، وهذا أقرب إلى العدل والعقل من فكر سيد قطب واقتداء جمال عبد الناصر به (تجاوز الله عنا وعنهم): أخذ أموال الأثرياء ومتلكاتهم بالباطل عنوة وتوزيعها - مخالفة لشرع الله - على الناس.

٣) ويقتدي المحسنون بالعمل والقول بحكم شرعية: (عامل الناس بما تحب أن يعاملوك).

ح- لماذا أخص حسنات النصارى بالذكر هنا؟ لأني اخترت لنفسي التفاؤل

١٥) مغنٍّ مشهور (R.H) لم يكتفِ بإقامة الحفلات لجمع التبرعات للمحتاجين في العالم الثالث بل استغل شهرته لإقناع قادة الدول الثمانية الغنية بإسقاط أربعين ألف مليون دولار من ديونها على الدول الفقيرة.

١٦) طفلة لم تكد تتجاوز سنّ التمييز بلغ بها الحزن على أيام مرضى الأيدز الى تجاوز مجرّد العاطفة إلى ما ينفعهم من جمع التبرعات لتعليمهم، ولما تمّ لها جمع مائة ألف دولار دعتها (أوبرا وينفري) للظهور في برنامجها مع الرئيس الأمريكي السابق (كلنتن) الذي تقوم مؤسسته على إعانة مرضى الأيدز وعائلاتهم، وسألتها (أوبرا) عن هدفها المستقبل فأجابت: (جمع مليونين دولار لهؤلاء الأيتام).
وعندما عاد البرنامج الى البث بعد فترة الدعاية التجارية التي تحوّلت دعا (كلنتن) الطفلة ليخبرها أنه أحد أصدقائه تبرّع لحملتها بنصف مليون دولار بشرط إخفاء اسمه.

١٧) أندريه أگسي لاعب التنس المشهور الذي يتعاون مع (كلنتن) لمكافحة الأيدز وأعانة المتضررين به بنى أسس مدرسة نموذجية (حقاً) بعد تقاعده (في سنّ الشباب) للأطفال في الأحياء الفقيرة تجمع بين أحدث النظريات التربوية والنفسية وبين أحدث الوسائل التعليمية التي لم تزوّد مدارس أحيائهم بمثلها.
وفي رأيي أنه ما فعل (أگسي، وتايگر وودز) وقبلهما بعشرات السنين مونتسوري، ودبل، وانطلق في مدارسها (6th Form Colleges) لضعاف القدرة على التعلم أولى من إقامة المدارس المميزة للموهوبين والنابغين (مسايرة لمثل أشهب أو لهبنقة الخيالي: (طلاقة الغنم السمينة في المرعى الجيد وحبس الغنم الهزيلة عنه بحجة: متابعة قدرة الله على كلٍّ منها).
وأحسب أنه رغاية الموهوبين لا يُغيّر (المعادلة) في البلاد المقلّدة لأنها ستبقى في دركها التقليدي والتبعية بالقدر الذي ستقوده به المقلّد في صناعته وإدارته وخدماته ومبتكراته، ولم يعجبني ذلك فإنه مسؤوليتنا التي أوجدنا الله لها أرقى من الصناعة والمبتكرات الخدمية، فقد ميّزنا الله بالدين على ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، وتزل الوحي بلغتنا، وأرسل إلى الناس كافة رجل من قومنا، وجدّد الله الدين في القرون الثلاثة الأخيرة ثلاث مرات بعلم علمائنا وواسع أمرائنا، ولنا الفخر والمجد من أطراف لوكان

العالم عالةً علينا في التربية والدعوة على منهاج النبوة وكنا عالةً عليه في الصناعة والتقنيات عامة، ويستحيل أن تحوز الأمرين معاً، فالله تعالى لا يعطي عبده كل شيء ولا يحرمه كل شيء، والخطب (أعظم الخطب) أن ننشغل بدنيا الناس عن ديننا فنخسر الدنيا والآخرة.

وتلقيت مرة تقريراً من إحدى أرقى الجامعات المشرفة في أمريكا (عندما كنت مشرفاً على المبتعثين) بأنه طالباً سعودياً وضع اسمه على لائحة الشرف في الجامعة للمرة الرابعة ليكون بذلك واحداً من (٣٦) طالباً حصلوا على هذه الدرجة في تاريخ الجامعة، ولما عاد إلى المملكة المباركة لم يتميز أداؤه الوظيفي عند غيره قد يكون السبب - كما قيل - البرودة أو الحرارة، أو البيئة عامة، أو لعلم التراب إذ تختلف أخلاقه البخاري المقيم في مكة والطائف عن أخلاق البخاري المقيم في المدينة مثلاً ولا زال أهل مكة محتفظين بالخلق الذي وصفهم به النبي في زمنه.

١٨) شابة جميلة (أس مال بجسدها) تسببت تفجير قطارات لندن (الحادي الإجرامي) في بريطانيا، ولما استيقظت من غيبوبتها وعولجت الكسور شفاها الله على مجرد الحياة عن الحزن لفقد ساقها وعن الغضب على المجرمة الذي اعتدوا عليها دون حق ولا شرع ولا عقل، بل أسست جمعية تدعو إلى العفو عن المعتدي وامتثال بحجة أن الغضب والحقد والرغبة في الانتقام لن يرد حياة مفقودة ولا عضواً مبتوراً وإنما يطيل حالة الاعتداء بربط المعتدى عليه بالمعتدي حرقة في القلب وضيقاً في الصدر ومكابدة لذكرى الاعتداء المؤلم تطول بالحقد وتقصر بالعفو.

ز- كيف يتميز الأوربيون والأمريكيون بالإحسان في بلاد الرأسمالية والمادية؟

١) قال الله تعالى عن النصارى (وهم الأكثرية): ﴿وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة﴾.

٢) يقتدي (ورثة بيض) و(بل كثير) بسلفهما (كارنيجي) الذي سبقهما بإنفاقه آلاف الملايين على مواقع الخاجة في أول القرن (٢٠) وكان يقول: (الثروة التي أعاننا الناس على جمعها يليق بنا أن نصدها إليهم) وهذا أقرب إلى الحق والعدل من فكر سيد قطب واقتداء جمال عبد الناصر (بجاذر الأغنياء): أخذ أموال الأثرياء ومصادرتهم بالباطل عنوة ونهباً لفقراء لغير أهلها مخالفة لشرع الله.

٢) ويقتدي المحسنون (بالقول والعمل) بحكمة شرعية: (عامل الناس بما تحب أن يعاملوك).

ح- لماذا أنشر حسناتي ليس من أجلي ولا ديني؟ لأني اخترت لنفسي التفاؤل

على التشاؤم والتركيز على الخبر أكثر من السر، ولأنه أكثر ما يحصى سيئات غيرنا ويبالغ ويكذب على من يعده عدواً أو لا يخرج مخالفة الشرع الله وينقل أخبار السوء ويتجنب أخبار الخير، خذ مثلاً من مجلة توصف خطأ بالإسلامية اسمها (نوبه) ومن العدد السابع الذي جاء في رويه سعي إليه، وقد خصصت صفحة (١١) لأخبار العالم بالمناوبة التالية: (دبلوماسيون يشيعون الخوف في البرازيل)، (معركة زوجية بالقنابل والمسدسات والسكاكين)، (جوبه سرية أمريكية للصحفيين على الأرصفة الكرواتية، نقلاً عن برنامج تلفزيوني روسي)، (الحكم بسجن ألماني لتسميط ابنة زوجها بالملح)، (جنون الصرعات)، (لص أفرج عنه للتو يسرق سيارة من مركز للشرطة، وتصف المجلة اللص المزعوم بأنه صاحب طموح)، (تزانية تغفل عن طفلها لدقائق فتفاجأ به يرضع من كلبة)، وتصف المجلة الكلبة بأنها قد تكون أحنّ من الأم)، (إدانة جزار امتنع عن جراحة التجميل)، وتقف المجلة في صف المجرم المزعوم بقولها: يستاهلون أهل جراحة التجميل)، (رقم قياسي للانتحار الجماعي عبر الإنترنت في اليابان). لهذه هي أخبار المجلة الإسلامية (نجموا) من أولها إلى آخرها، ومع أنني أحدث مثلاً لم تستفد من التجارب السابقة خيراً لانشغالها بالقدوة الفاسدة: أشرفت في الورد والألوان والصور والدم: (لا يحب المسرفين)، تكلفت ١٢ صورة للشيخ ابن جبرين وفقه الله (وهو وحده العالم بشرع الله بين عدد من مفكري الإسلامية) صورتان لتطبيب لحية وست صور لحلوس، وأربع صور لوقوف، وأعطت المفكرية الإسلامية نصيبهم من الصور بختلف اللقطات والسكنات وكأنه المحرر خاطبة تعرض عرائس على طالبي القرب. ولا أعرف لهم قدوة قبل رداءة تزار قباني وهي - فيما أعلم - أول منشور عربي بالألوان، وعندما ظهر أولها منذ نصف قرن كتب الشيخ علي الطنطاوي رحمه الله يقول: (ظهر ديوان جديد لنزار قباني كالموسمات مزوقة بالأحمر والأصفر والألوان قبل ديوانه شعراً ناحي ولكنه الآن يجلة توصف بالإسلامية. ولأنه المجلة لم توفه للقدوة الصالحة فرحت عنه مفرغ الوحي والفقه والعقيدة ووقعت في مناهج الفكر والنظم والعواطف، لم يكن أكبر تحريف الأمر بأعظم مما أمر الله به: إفراد الله بالعبادة واتباع السنة، ولا الذي عنه أعظم مما نهى الله عنه: الشرك بالله في عبادته وما دونه ذلك من البدع - فيما ظهر لي منه -. وفي المقال الوحيد الأقرب إلى السنة للشيخ ابن جبرين وفقه الله، نقلت عنه ما لم يرد في كتاب ولا سنة ولا عن خليفة راشد ولا صحابي ولا فقيه معتد به من التابعين أو تابعيهم في القرون المفضلة عن الرقية من العين: (بسم الله أعطيك من كل عين حابس وعين يابس وشر وقابس، رددت عينه العائنة عليه وعلى أحب الناس إليه)، فليس في سند هذه الرقية ولا متنها ما يوثق به، وهي أقرب ما تكون إلى جمع الكراهة، وفيها من

الاعتداء في الدعاء ما يخالف شرع الله؛ كيف يؤخذ أحمق الناس إلى العمائم بجريرته وأحمق الناس إليه أبواه بعد نبيه محمد صلى الله عليه وسلم. وقال الله تعالى: ﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾.
ولحق بإشارة إلى ضيعة المجلة منه (انتقاد لا نقد) الآمرية بالمعروف الناهية عن المنكر، ووصفه - احتمالاً - بمحاربة المجلات الإسلامية. وليس بمستغرب على منارع عدم التفريق بين إشاعة الفاحشة في المسلمين للتسلية أو التشفي أو الترويج وهو المحرم، وبين بيان المنكر المخالف لشرع الله إذا قدم للناس بدعوى أن الحق ليلبس به الشيطان عليهم دينهم، فبيان هذا هو النهي عن المنكر الذي ميز الله به هذه البلاد وهذه الدولة المباركة. وهذا لا يعني اتهام النيات فعلمها عند الله وحده. والعدل في إحسان الظن بالنية، وبيان الحق ونشره، وبيان الباطل ومحاربته، والدعاء للجميع بالهداية لأقرب منه هذا رشدا.
ط - مرة أخرى لعلنا نفهم ونفهم: لا يجوز اتهام النيات ولا يجوز الغيبة ولا يجوز الشماتة بالمخطئ ولا الفرور بدعوى الانتماء للإسلام والسنة والدعوة والإصلاح. وفي الوقت نفسه لا يجوز السكوت عن الخطأ الظاهر من القول والعمل إذا صدر ممن يخشى الاقتداء به (بخاصة) على أنه يجمع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بغير بيان الحق وبغير الحق الخلوه.
ي - ومرة أخيرة لعلنا نفهم ونفهم: الخطر على الإسلام والمسلمين أجرى - أنه يأتي من الدعاة إليه على ضلالة أي: على غير منهج النبوة المعصومة؛ فاحتمال أنه يأخذ المسلم دينه عن أخيه الداعي إلى الإسلام (على الابتداع ولكن لا يدري) أكثر بكثير من احتمال أنه يأخذه من يهودي أو نصراني أو وثني أو ملحد.
ك - وظلم الغربي للغربي وظلم المستعمر للمستعمر اليوم فاق كل ظلم؛ قارنه ما سماه جمال عبد الناصر بالاستعمار الغربي في الكويت - مثلاً - عشرات السنين، وكان من آثاره: استخراج النفط، وسفلتة الطرق، وإدخال الكهرباء والماء والهاتف للبيوت، وانتشار التعليم العصري، وتحقيقه أفضل بنية تحتية ومستوى دخل في العالم الغربي والإسلامي بل في أكثر بلاد العالم؛ قارنه باحتلال الصرب المنتمي للغرب أولاً ثم للإسلام سبعة أشهر منه جحيم الاشتراكية الغربية والسلب والنهب والفجور وظلم الديني والدنيوي وانتهى بحرق (٧٠٠) بئر نفط حقداً وحسداً وعدواناً، وتصفية لكل الغرب والمسلمين إلا الأقلية في الخليج أو في دول قليلة لم تقاطع بأيد الإجرام مثل مصر وسوريا بأساليب مختلفة، وكان أكثر مؤيدي الإجرام المفكوكة والحركيون والحزبيون الموصوفون زوراً بالإسلامية.
هدى الله الجميع لدينه الحق ورد هم إليه رداً جميلاً؟

بسم الله تابع مقال: الكرم عند العرب وحقيقة في الغرب؟ أدعياء

١٩) يروي فكس: شاب كندي أصيب بالسرطان فقطعت رجله، ولكنه الحرصه انتشر وأخبره طبيبه أنه أيام الباقية لا يحتمل أن تتجاوز بضعة أشهر.

رغب في أن ينفع الناس ما بقيت حياته إلى أي حد ممكن؛ فقرر المشي (أو الركض) مسافة عبر كندا إلى غرب على رجل طبيعية ورجل صناعية في حملة مركزة لإثارة الاهتمام بمرضه وفرض السرطان وجمع التبرعات للأبحاث والعلاج.

وكندا أكبر دولة من حيث المساحة (قريباً من عشرة ملايين كيلومتر مربع)، ولا تتجاوز عدد سكانها (٣٠ مليوناً).

وكان من الأهداف الجزئية للحملة جمع تبرعات بمعدل دولار واحد لكل مواطن كندي، وعندما أعياه المرض عن متابعة حملته كان قد حقق هذا الهدف، وبقدومه جمعت مؤسسته مئات الملايين من الدولارات لتحقيق طموحه لإعانة أبحاث السرطان في سبيل إيجاد علاج ناجع لمرضاه ولقاح للوقاية منه.

وحققت حملته هدفها لإثارة الاهتمام بهذا الأمر فتناقلت وكالات الأنباء أخبار مشروعه وتجمع الناس في طريقه لتحيته وتشجيعه (ويضم الآلاف في حملته ومشيه أو ركضه).

وخرج رئيس وزراء كندا وعدد من الوجراء لملاقاته وتكريمه.

ولم يستطع تحقيق هدفه قطع المسافة بين سرو كندا غرباً (وطول حدودها مع أمريكا: قريباً من تسعة آلاف كيلو)، ولكنه قطع أكثرها (٥٠٠٠ خمسة آلاف كيلو) على رجل صناعية ورجل طبيعية.

٢٠) وليم جيمس: شاب أمريكي أسود اضطر لحضانة ابنته أليشيا (١١ شهراً) منذ أن تنازلت والدتها عن الحضانة بعد انفصالهما.

وكان قد عمل في البحرية سبع سنين ويعمل مدرباً رياضياً وطباخاً لإتمام دراسته الجامعية، وكان يصحب ابنته إلى كل مكان يذهب إليه، وأخبرها الناس لما ميزهما الله به من خلق وعزم.

قبل الدراسة في كلية (بوردو) واستأجر شقة صغيرة قرب الكلية تؤوي مع ابنته، وكان يصحبها إلى صفوف الدراسة

فتضطر بزوجته على الدراسة والمعاملة وفي المقابل غضّ الجميع الطرف عن وجود الطفلة في غير مكانها.
وعرضت أيضاً أن تنفق كل مدخراتها على علاجها وإعالتها، ثم تأخر في الدراسة بسبب ذلك فاضطر للاعتذار عن تأخره الدراسي بما يبانه من جهد ونقص في النفقة.
وبحث المشرف على دراسته الأمر مع إدارة الكلية فوافقت على إسكانه مع طفلته في مساكن طلابية والأكل معها في مطعمها، وعلاجها معها على نفقتها، وحضورها معه إلى الصف، وتنازل له محسن رفيع الأفضال عن هويته بخمسة وعشرين ألف دولار تعينه على تحمل أي نفقات تطلبها حضانة طفلته.
وبعد أربع سنوات تخرج (وليم سمث) من الكلية، وفي حفل التخرج نادى عميد الكلية اسم (وليم سمث) وأيضاً (وليم سمث) لتسلم شهادة التخرج فوقف جميع الحاضرين يصفقون ويهنئون الاثنين، وأصبح الأب وطفلته في الكلية.
٢) بلغ بيلي سناب أمريكي أبيض (٣٥ سنة) كان يقود سيارته بعد منتصف الليل عائداً إلى بيته من محله (مهندس ديكور) في برنامج تلفزيوني فكاهي (رامادوران) الذي استمر (٦) ساعات متواصلة، وفي حاجة ماسة إلى الوصول إلى بيته وزوجته.
لاحظ أنه سيارة (سقفه) خرجت عن الطريق السريع وتدحرجت إلى أسفل التل على شاطئ كاليفورنيا، فأوقف سيارته ونزل للبحث عن ناجين فوجد السيارة المنكوبة مدمرة خالية ووجد بائعاً ملقى على وجهه وحوله تناثر زجاج السيارة وبعض أغراضه بائعاً: مسدس ومحفظة. أزال الرمل عن فم البائع وأنفه محاولاً إبقاءه حياً بالتنفس الصناعي وقبل أنه بدأ في ضخ أنفاسه في فم المصاب تذكر أن مسدس وفم احتمال علاقة للمصاب بعصابة مجرمة، وتذكر أن زوجته أصيبت بالسرطان وشفيت، ولها هو يقرض ويعرض نفسه لاحتمال عدوى الأيدز لكامة المصاب ناقلاً للفيروس.
ولم يجد بداً من محاولة الإنقاذ واستمر يتابع (٢٠) دقيقة

حتى وصل المسعفون، ولكنهم بعد محاولة جادة توقفوا عن الأنة قد فارق الحياة.

ولم ينجل المتفرجون المطلوبة من الطريق باظهار امتنانهم وشكرهم وتحيتهم وتشجيعهم لشاب أبيض يخاطر بحياته لانقاذ شاب أسود لا يعرفه ولا تربطه به غير الرابطة الآدمية.

وتبين أن السائق المصاب شرطي لم يستطع مقاومة النعاس. وجيء بالي بكر إلى المستشفى أقام الشرطي وحضره والد الميت لتذكر زميلهم وتحيته لما له من الكرم والشهامة لمحاولة انقاذه.

٢) (باتي شبر) فتاة أمريكية وصفت منذ طفولتها بالبنت الصغيرة ذات القلب الكبير، كانت تحب المرح وتحب الحياة وتحب كل من تلقاه من مخلوقات الله، بل كانت لا تكاد تعود من المدرسة إلا وتصطحب حيوانا مشردا أو طفلا منبوذا، وكان يبدو أنها ولدت وولد معها التعاطف مع الآخرين وأنها خير هدية تقدمها نفسها، وهكذا كانت قدر الله لها وعليها.

أثناء متابعتها خبرا في التلفزيون عن حادث مرور كانت فيه قتلى قالت لمن حولها: إنه أنا قتلت في حادث مماثل فإني أتمنى أن يهب قلبي لأبي (وكان يعاني من أمراض القلب منذ ولادته) وكررت ذلك مرارا، وعندما بلغت (١٨) سنة وقعت وثيقة تتبرع فيها بأعضائها بعد موتها للمرضى المحتاجين لها ليس للبيض النصارى مثلها وحدهم بل لأي مريض بالقلب أو الكبد أو الكلية ونحوها. ولكنه والدها رفض (في شدة حزنه لفقدها في حادث مروري) بشدة قلبها الذي وقع إذنا بنقل جميع أعضائها لمن يحتاج لغيره ثم قلبت الأمر واستشار زوجته (منذ سبع وثلاثين سنة) وأولاده واستقر رأيهم على تحقيق رغبتها أولا ثم ليبقى جزء منها حيا يعيش معهم ويذكرهم بما كانت عليه من كرم وأريحية.

واستأجر المستشفى الذي يرقد فيه جسدها طائرة صغيرة خاصة تنقل أعضاءها للمحتاجين إليها في أماكنهم متفرقة، ومثل هذه الطائرة الأولية في الإقلاع والهبوط لأن الأعضاء المتبرع بها لا تبقى صالحة بعد الجسد المنقولة منه والمنقولة إليه غير بضع ساعات. وكانت باتي شبر واهبة في حياتها وواهبة بعد مماتها